

فيعود عليه ذلك بريح وفير أتاح له العيش في نعمة دائمة. علم التاجر " نور الدين " أن قافلة تستعد للسفر إلى مدينة بغداد، فاشترى بضائع كثيرة ونقلها على الجمال وسار بها مع القافلة، يمضي نفسه برحلة ممتعة يحقق بها أمنيته بالريح الوفير ومشاهدة بلاد الله الواسعة. بعد مسيرة عدة أيام وصلت القافلة إلى سهل فسيح مملوء بالأشجار المثمرة، وفي صباح أحد الأيام استيقظ "نور الدين" باكراً وذهب يتنزه بين الأشجار ويبتعد (يغتسل) بمياه النهر المنعشة، فقد حملت أمتعتها وتابعت مسيرتها إلى بغداد، قضى " نور الدين " ليلته نائماً فوق أحد الأغصان خوفاً من الوحوش المفترسة، وفي الصباح سار على غير هدى حتى أنهكه التعب، ثم تابع سيره والجوع يكاد يهلكه، حتى لاحظ له عن بعد قباب ومبان ضخمة ومآذن شامخة، فإذا به يجد نفسه في مدينة نظيفة الشوارع حسنة الترتيب واسعة. فسار فيها على مهل وقد هدهد الجوع والتعب والإرهاق حتى قادته قدماه إلى قصر فخم تعلوه القباب، ووجد على بابه رجلاً تبدو على محياه أمارات الطيبة والمروءة. اقترب "نور الدين" من بواب القصر وحياه في أدب وقال له: هل من وسيلة يا سيدي تدلني عليها للحصول على طعام أسد به جوعي، فقال البواب: إن المدينة مليئة بالمطاعم، فلم لا تذهب إلى أحدها وتتناول من الطعام ما تشاء؟ فأجابه " نور الدين " في إعياء وتردد: إنني غريب مسكين لا أملك نقوداً. وزاد قائلاً: ولكني أملك هذا الحجر المتلألئ. ثم أخرج من بين طيات ثوبه الحجر الأحمر الذي وجده في الطريق وقدمه إلى البواب الطيب. ما كاد البواب يرى الحجر الكريم حتى فتح فمه مندهشاً وقال لـ "نور الدين": أتملك مثل هذا الحجر الكريم النادر، وسوف يكافئك عليه مكافأة سخية. دهش "نور الدين" لهذا الكلام وأسرع الخطى نحو قصر السلطان العظيم، وطلب إلى الحاجب مقابلة السلطان لأمر مهم. حيث شاهد السلطان يجلس في هيبة ووقار وحوله الأمراء وكبار رجال الدولة. تقدم " نور الدين " من السلطان مبهور الأنفاس وأظهر الياقوتة الحمراء وقال في أدب: قدمت يا سيدي من بلاد بعيدة لأقدم لكم هذا الحجر الكريم النادر لعلمي بشغفكم باقتناء الأحجار الكريمة. الياقوتة العجيبة أخذ السلطان الياقوتة وقلبها بين يديه مبهوراً من كبرها وجمالها، مضت الأيام. وأحب السلطان أن يمتع بصره بتأمل الياقوتة الجديدة، ولكنه سرعان ما استجمع شجاعته وهدوءه وقال للشباب: من أنت؟ وماذا أتى بك إلى هنا؟ وإن لوجودي هنا قصة لا أستطيع البوح بها. أطرق السلطان برأسه إلى الأرض مفكراً، ففي مثل هذا اليوم من مطلع كل شهر يفد علينا تنين مخيف، ولا يكف عنا شره حتى نقدم له شاباً من خيرة شباب بلدنا ليلتهمه ويسد به جوعه، ثم ينصرف من حيث أتى ليعود في الشهر التالي فنقدم له شاباً آخر، ثم تابع السلطان كلامه: فهل باستطاعتك أيها الشاب النبيل أن تخلصنا من شر هذا التنين. أنا واثق من قدرتي على تخليصكم من شر هذا التنين، فأمر السلطان بتلبية طلبه فوراً. وما هي إلا لحظات حتى اهتزت الأرض وسُمعت ضوضاء شديدة ارتجت لها أرجاء المكان، ثم ظهر التنين المخيف، ولكن ذلك لم يرهب أمير الياقوت الذي يتمتع بقوة سحرية خارقة، بل تقدم بخطوات ثابتة نحو التنين. أسرع أمير الياقوت إلى السلطان ليزف إليه بشرى القضاء على التنين المخيف. سر السلطان من ذلك وعانق الشاب وراح يقبله بتأثر وفرح وإعجاب، ولكني كنت قد قطعت عهداً على نفسي أن أزوج ابنتي " نور الحياة " لمن يخلصني من شر هذا التنين، وها أنا اليوم قد حققت لي هذا الأمنية، رحب أمير الياقوت بالزواج من " نور الحياة " فسر الملك بذلك سروراً عظيماً وأمر بأن تقام الزينة في جميع أنحاء المملكة، وأن تعم الأفراح جميع الناس، سكن الأمير وزوجه نور الحياة قصرًا جميلاً، وعاشا في سعادة وهناءة. ولكن سحابة من الكآبة كانت تخيم فوق هذا البيت السعيد، وتنغصص على الأميرة حياتها. وكثيراً ما سألتها أن يكشف الستار عن هذا السر ولكنه كان في كل مرة يحذرهما من إثارة هذا الموضوع أمامه مرة أخرى. في ذات يوم، كان العروسان: أمير الياقوت ونور الحياة، أصرت نور الحياة على أن تعرف سر زوجها الخفي، وألحت عليه. وما إن بدأ بالكلام حتى ثارت موجة عاتية من عرض البحيرة وتقدمت نحو العروسين واختطفت أمير الياقوت. ورأت نور الحياة زوجها وقد خطفته هذه الموجة وابتلعت في غمضة عين. وكان الهم قد أخذ بها كل مأخذ، جلست تحت جذع شجرة تبكي ذكرى زوجها حتى مضى من الليل نصفه، فجأة سمعت أصواتاً غريبة تنبعث من وسط البحيرة، بالحشائش الخضراء والأزهار الملونة، ثم انشقت المياه عن مركب كبير يتقدمه شيخ عجوز يمسك بيده شاباً تتدلى على جيبه ياقوتة حمراء كبيرة. ثم خرجت من بين الأمواج راقصة حسناء تحمل بيدها دفاً تضرب عليه وترقص على نغماته مما جعل أمير الياقوت يعجب بها ويلحقها بعينيه. عجبت نور الحياة لهذا المشهد الغريب، وتملكتها الغيرة فاندفعت بلا وعي نحو الراقصة وانتزعت الدف من يدها وراحت تضرب عليه وترقص على نغماته رقصاً أثار إعجاب الأمير والشيخ العجوز ودهشتهما. ولكنك أنت المسؤولة عما حدث لك وله، فأجابته الأميرة في توسل: أريد أن تعيد لي زوجي الحبيب. فقال الشيخ العجوز بصوت ملؤه العطف والحنان: اسمعي يا بنيتي،